مجلة الرائد

العدد : ٢١٣ الموافق في جمادى الثاني ١٤٢٠ هجري ١٠ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : الجزائر وقانون الوئام الوطني	بقلم : التحرير

عندما رشح السيد عبد العزيز بوتفليقة نفسه لانتخابات الرئاسة الجزائرية .. وصفه معارضوه بـ " مرشح السلطة العسكرية " ، وحين أحس منافسوه أن إمكانات الدولة قد سُخرت لإنجاحه .. جاء قرارهم بالانسحاب من الإنتخابات التي أُجريت بمرشح وحيد من الناحية الفعلية .

وعند استلام السيد بوتفليقة رئاسة الجمهورية سعى إلى إقناع الناس – داخل الجزائر وخارجها – بأنه يتحرك من تلقاء نفسه ، ولن يكون صدى للعسكريين ، وسيعمل على تحقيق ما وعد به من حقن الدماء ، والبدء بانطلاقة جديدة تعيد للجزائر عافيتها ومكانتها .

واعتمد الرئيس بوتفليقة على اتفاقية الهدنة الموقعة بين مسؤولي الجيش الجزائري وبين الجناح العسكري للجبهة الإسلامية " الجيش الإسلامي للإنقاذ " والتي تم التوصل إليها في أجواء المذابح المروعة التي نالت من المدنيين ، وشملت مناطق عُرفت بتأييدها للجبهة الإسلامية للإنقاذ . فجاء بوتفليقة وأعطى هذه الهدنة صفة الاتفاق ، وانطلق من روح هذا الاتفاق وتحرك بسرعة مذهلة ، وبلور مشروعه للوئام الوطني ، أصر على حشد تأييد جماهيري كبير عبر استفتاء شعبي ، وكان له ما أراد في ١٩٩٩/٩/١٧م .

فما هي توقعات المستقبل الجزائري ؟

أولاً : شخصية الرئيس بوتفليقة : ينتمي عبد العزيز بوتفليقة إلى العقلية التي حكمت الجزائر عقب الاستقلال – بعد الإطاحة بابن بيلا ومجموعته – ومارست العمل السياسي المعتمد على قوة شخصية الرئيس . ويؤمن بوتفليقة في قرارة نفسه بأنه هو الرئيس الذي كان ينبغي أن يحل مكان الرئيس بومدين عقب وفاته ، ولكن الوصوليين تمكنوا من تهميشه وأدخلوا البلاد في عهد الظلمات . وحين اضطربت الجزائر في أعقاب هجمة العسكر وإيقاف الانتخابات التشريعية ، رفض بوتفليقة أن يكون واجهة للعسكريين ، وآثر البقاء بعيداً عن النار المشتعلة .

ثانياً : حقيقة الصراع في الجزائر : يعلم بوتفليقة حق العلم أن السبب الرئيس في محنة الجزائر إنما هو الصراع بين الهوية الإسلامية وبين الانتماء الفرانكوفوني ، باعتبار ذلك نتيجة متوقعة للتناقض الثقافي الناشئ عن " الفرنسة " و " التعريب " بصرف النظر عن وسائل هذا الصراع .

ثالثاً : الواقع الجزائري اليوم : وأدرك عبد العزيز بوتفليقة قبل ترشيح نفسه للرئاسة أن أموراً قد

حدثت وتسمح له بولوج حلبة السياسة ، وتضمن له تحقيق وجود محترم . وأبرز هذه المتغيرات :

١. لقد تمكن العسكر والتيار العلماني الفرانكوفوني من إحداث تغييرات معتبرة في الواقع الجزائري.. ومن ذلك :

- إقصاء الفكرة الإسلامية من معادلة العمل السياسي ، وذلك بحظر الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وإعادة تشكيل الطيف الحزبي بشروط السلطة التي حظرت إبراز الانتماء إلى الإسلام في أسماء الأحزاب وطروحاتها ، واستجابت لذلك الأحزاب التي كانت تنادي بالإسلام وتبرز ذلك في أسمائها .

- وضع دستور باستفتاء شعبي ؛ يرتب الحياة السياسية والاجتماعية ، ويصح أن يكون إطاراً تضمن به الدولة " علمانيتها "

- إقناع القوى السياسية في الجزائر أن عليهم أن ينسوا شعارات التغيير ، ويقبلوا بالواقع الذي ينظمه الدستور الحالي ، وأن يتحركوا من خلال ضوابط السلطة ، إذا أرادوا الاستمتاع بالفوائد التي يتيحها هامش الحرية المقننة .

- توليد حالة من الشك بالمشروع الإسلامي لدى قطاع من مؤيدي التيار الديني ، وتم ذلك عبر الصراع الدموي الذي فجره العسكر ، ثم أصروا على استمراره مدة تكفي لإقناع كثير من الجزائريين بضبابية الإسلاميين ، وتدفعهم إلى طلب الخلاص من المذابح المروعة والدمار القادم.

- خلخلة الصف الإسلامي الذي فرضت عليه الأحداث الجسام اجتهادات تباينت في النتائج ، وأثارت خلافات لم تقف عند حدود تخطئة الرأي الآخر .

- بروز ليونة لدى قطاع من مسؤولي الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، واستعدادهم لإعطاء فرصة لمحاولة تخرج البلاد والعباد من الأزمات أو تخفف الكوارث .

٢. وأيقن العسكر أنفسهم أنهم لن يتمكنوا من الاستمرار في ممارسة السلطة بالشكل الذي هم عليه ، فلما قرر الرئيس زروال الاستقالة فكروا في البديل الذي يحفظ لهم وجوداً محترماً ، ويحمل مسؤولية الحكم ، ويستفيد مما أحدثوه من تغييرات .. فالتقت مصالحهم بشخصية عبد العزيز بوتفليقة !

٣. واقتنعت الأحزاب العلمانية ، التي توصف بـ " الاستئصالية " أن ما جرى في الواقع من تغييرات كفيل بشل تطلعات الإسلاميين ، وأن موجة جديدة من التغييرات أصبحت على الأبواب ، ولا مانع من ركوب متنها كائناً من كان الربان ، لأنه سيكون محكوماً بمقدمات تلزمه بنتائج .

* * *

في هذه الظروف جاءت الانتخابات الرئاسية ، وبرزت شخصية عبد العزيز بوتفليقة ، الذي قدّر أن الوقت مناسب للقيام بدور ينسجم مع تطلعاته ، وكان بارعاً في حركيته وطروحاته ، وتمكن من الظهور بثوب الزعيم الشعبي المدرك للآلام والآمال ، والمصمم على قيادة سفينة الجزائر إلى شاطئ الاستقرار والأمن والتقدم . وتمكن من انتزاع موافقة شعبية – تصل إلى شبه الإجماع _ على قانون الوئام الوطني ، الذي ينص على العفو عن أولئك الذين حملوا السلاح ، وتخفيف الأحكام عن مرتكبي الجرائم البشعة ، إذا ألقوا السلاح في وقت معلوم .

* * *

وبعد فقد قمنا برسم صورة الواقع الجزائري كما نراه ، لكي نضل إلى تسجيل ما نتوقعه من مستقبل للجزائر حرسها الله تعالى ، في المرحلة القادمة التي يقود فيها البلاد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة :

١. سيكرس الرئيس عبد العزيز بوتفليقة صيغة " الحاكم الفرد " وسيعمل على تحجيم مراكز القوى ، وبخاصة قادة الجيش ؛ بحيث يعتمد عليهم ولا يوجهونه ، ويحقق لهم امتيازات محسوبة .

٢. وسيعمل على ترتيب الحياة السياسية مستفيداً من الصلاحيات الدستورية ، وسيفرض على مناوئيه التهميش ، إلا إذا قبلوا أن يكونوا كواكب تدور في فلكه .

٣. وسيتعامل مع المسألة الإسلامية بما تمليه عليه شخصيته وثقافته ؛ فهو لن يقبل بزعامة منافسة ، ولعل هذا من أسباب الإبقاء على الزعامة التاريخية للجبهة الإسلامية للإنقاذ – كالشيخين عباسي مدني وعلي بلحاج – رهن الاعتقال والإقامة الجبرية ، ولن يسمح بظهور ثقافة تناقض العلمانية التي تعترف بعروبة الجزائر ، وإن لم يصرح بذلك .

٤. وقد يتمكن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة من تحجيم العمل المسلح ، وربما قضى عليه ، وسيحاول الاستعانة بإسلاميين من أجل تحقيق هذا الهدف .

٥. ولن يتمكن عبد العزيز بوتفليقة – لأسباب موضوعية تتعلق بالظروف وبشخصيته- من حل إشكالات المرحلة السابقة ، وسيعمد في عدد من القضايا إلى الإمساك بالعصا من وسطها ، وسيبقى رافضون لطروحاته وممارساته ، سواء في الجانب الإسلامي أو العلماني .

٦. وما قدمناه يفيد بأن الوضع الجديد سيعيد ترتيب أوراق اللعبة السياسية في الجزائر ، وسيقدم إيجابيات مشكورة ينبغي دعمها والاستفادة منها ، - ونرجوا أن يذكر له التاريخ نجاحه في تهدئة المشاعر وحقن الدماء .

وفي هذه الأيام العصيبة ندعو المسلمين في الجزائر وخارجها إلى دعم كل عمل إيجابي يخفف الآلام ، وينهض بالبلاد والعباد ، ونناشد الإسلاميين أن يعيدوا النظر في مقولاتهم واجتهاداتهم في ظل الظروف والمتغيرات ، وأن يوفروا إمكانات الاجتهاد البصير المتجدد .

وندعو الرئيس عبد العزيز بوتفليقة إلى إعادة النظر في أسباب المحنة الجزائرية ، وأن يتعامل مع العلل وفق منهج أصيل يعالج الأمراض ولا تشغله الأعراض ، فقانون الوئام الوطني تفوح منه رائحة « الحل الأمني » ولا يحظى « الحل السياسي » بالاهتمام المناسب ، ونناشده أن يكون أخاً وأباً للجزائريين

وندعو الله عز وجل أن يسدد خطى الجميع .